المحاضرة الثالث عشرة

من أركان مقدمة التحقيق: وصف النسخ الخطية ونقدها

وهذا أبرز ما يتميز به البحث في هذا المجال (تحقيق المخطوط) عن غيره من البحوث الأكاديميّة؛ والأمر هنا لا يقتصر على مجرد الوصف الظاهريّ، بل يتعدى إلى ما يثبت صحّة النسبة شكلا ومضمونا، وما يبعد عنها تهمة الانتحال والتحريف التي قد تتسرب للنسخ المخطوطة؛ وهو أمر وارد عقلا وواقعا.

فمثال ما ورد واقعا ما نشر من (مقدّمة مصنّف عبد الرزّاق الصنعاني) المزعومة[١]!!.

وأبرز فروع هذا الركن كالتالي:

الأول الوصف الظاهري أو المادي للنسخ الخطية:

وفيه الكلام عن: الحجم / عدد الأوراق / نوع الخط والورق / التجليد / مصدر المخطوط

(وهناك كتب خاصة اهتمت بهذا مثل منها: علم الاكتناه العربي حاتم السامرائي، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات أيمن فؤاد السيد وغيرها من الكتب التي تؤرخ للخط العربي)[٢]

١ – **الحجم والمقاسات:**

يحدد الطالب حجم الكتاب بقياس طول كل ورقة وعرضها فإن أمكنه الاطلاع على الأصل فليقسه بنفسه، وإلا فليعتمد على ما في البطاقة الفنية من قبل المفهرسين.

ويدخل في هذا عدد الأسطر وعدد الكلمات في كل سطر، ولهذا الجانب فائدة كبيرة في التوثق والتثبت: فإن وحدة المقاسات من أدلة وحدة المخطوط الذاتية والزمنية، ومثال ذلك ما ذكرته د. هند شلبي في تحقيقها لكتاب التصاريف ليحيى ابن سلام البصري القيروانيّ[٣].

٢ – **عدد الأوراق:**

يتبع في عدها الطريقة السابقة وعدد الأوراق يبين السقط من عدمه في المخطوطات، فقد يذكر في البطاقات أن عدد أوراقه كذا، ثم يرى الباحث النسخة ناقصة فيتحرى في أمر سقوط بعض الأوراق؛ وقد نجد كتابا عُلِمَ ضخامَةُ حجمه أو العكس مما في كتب التراجم، ثم يجده الباحث على العكس في النسخة المخطوطة.

---

[١] إذا أردت توسعا أكثر فطالع كتاب: مجموع في كشف حقيقة الجزء المفقود (المزعوم) من مصنف عبد الرزاق، مُحَمَّد زياد بن عمر التكلة.

٢ وانظر قائمة لأهم المراجع في معرفة الخط العربي في: علم الاكتناه العربي الإسلامي، قاسم السامرائي ص ١٢١.

[٣] التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، يحيى ابن سلام، ص ٤٩.

ومما ينبغي ملاحظته هنا أن بعض النسخ قد ترقم أوراقها مما يفيد أيضا في معرفة السقط، وترتيب أوراق النسخة؛ ولكن على الباحث أن يميز واضع الترقيم فقد يكون متأخرا عن النسخة فلا يكون حينئذ دليلا على تمام النسخة أو ترتيبها.

ومما يلحق به ملاحظة الترقيم ونظام التعقيبة والتجزئة الواردة على النسخة؛ فهو أمر مهم في معرفة تتابع النسخة وتمامها وكذا انتمائها التاريخي.

٣ – **تحديد بداية المخطوط ونهايته**: لئلا يدخل فيه ما ليس منه، لا سيما في المخطوطات التي تكون ضمن مجاميع، أو كتب العلماء فيها سماعاتهم أو شيئا من تقييداتهم العلمية.

٤ – **نوع الخط**: وهو من أكبر وسائل النقد في علم التحقيق؛ لأن كل عصر له نوع من الخط تميّز به عن غيره من العصور؛ فمن ادعى العثور على مخطوط قديم يرجع مثلا إلى القرن الثاني الهجري، ثم نراه قد كتب على الخط النسخي المطوّر الذي لم يشتهر إلا بعد القرن الرابع، أو ظهرت فيه علامات ضبط لم تشتهر إلا في قرون متأخرة، دل ذلك على عدم ثبوته.

وبهذه الطريقة من النقد استدلّ الشيخ أحمد شاكر في نقده لخطّ الرسالة وأنها بخط الربيع تلميذ الشافعي[٤]. / وبمثلها استدل الدكتور طيّار آلتي قولاج في تحقيقه للمصاحف التي قيل إنها أحد المصاحف عثمانية؛ فأثبت بناء على هذا الأسلوب أنها لا يمكن أن تكون كذلك.

كما يمكن الاستفادة من الخط في النقد من جهة معرفة صاحب الخطّ، فإن من العلماء من عرفت خطوطهم وحفظت طريقتها مما يسهل عملية اثبات النسبة إليه.

ومما يفيد أيضا في معرفة الخطّ أن الباحث إن أشكل عليه شيء رجع إلى الكتب الخاصة باصطلاح ذلك الخطّ وتعليمه، لعله يستطيع تمييزه وتبيين مشكله بمعرفة اصطلاحهم فيه.

ومما ينصح به الباحث في اكتساب مهارة التمييز بين الخطوط:

– قراءة كتب تطور الخط العربي .

– كثرة قراءته للمخطوطات التي ثبت تميز تاريخها .

– مراجعة النصوص المحققة في هذا المجال لكبار أهل العلم المختصين.

والأمور التي يميز بها الخطّ كثيرة على رأسها ثلاثة:

- ✓ طريقة رسم الحروف حذفا وإثباتا وإبدالا.

[٤] الرسالة، الشافعي، مقدمة تحقيق أحمد شاكر، ص ١٧.

- ✓ الناحية الفنية أي طريقة رسم الحروف شكلا وصورة (صورة الدال، الكاف اللام....)
- ✓ اصطلاحات الضبط والنقط (يدخل فيها: نقط الإعجام، الشكل، علامات التصحيح، الرموز المستعملة في التصحيح واللحق والاختصار والتبيين والمقابلة والتعقيبة ونحو ذلك.

ومما ينبغي على الباحث التنبه له هنا:

– متابعة وحدة الخط أو اختلافه في النسخة الواحدة فإذا اضطرب الخط دل على تعدّد الناسخ أو تباعد الزمان، أو كون النسخة ملفقة؛ ونحو ذلك مما يحيطها بشيء من الشك الذي يحتاج معه الباحث إلى دفعه.

– كما عليه ملاحظة الفرق بين خط متن الكتاب وما عليه من تصحيحات أو حواش أو سماعات ونحو ذلك، ويقارن بينها وينقد؛ فيمكنه مثلا أن يلاحظ التشابه أو التباين في نوع خط السماعات مع المتن، آخذا في ذلك بعين الاعتبار العامل الزمني، وعامل الكتاب وحدة واختلافا.

٦- **نوع الورق والحبر**: وهذا من أصعب الأشياء في تمييز المخطوطات لتقارب المادة في ذلك وتشابهها إلا على المتخصصين؛ لكن قد تكون هناك فروق واضحة كالفرق بين الكتابة على الجلود والكاغد؛ ثم درجة سماكته من غيرها[٥].

٧- **الآفات التي قد تصيب النسخ المخطوطة**: والمقصود هنا أن يبين الباحث سلامة النسخة مما قد يصيبها من آفات: ابرزها:

- ✓ نقص أوراق من المخطوط
- ✓ طمس كلمات أو حروف من المخطوط
- ✓ تآكل مواضع من المخطوط
- ✓ حدوث اضطراب في ترتيب أوراق المخطوط.

فيصف الباحث كل ذلك بدقة ثم يبيّن كيفية علاجه لهذه الآفات المفسدة للنصّ؛ وما هي الطريقة التي اتبعها حتى يقترب من النص الأصلي للمؤلف.

٨ – **مكان المخطوط**: ويقصد به الجهة التي تحوز النسخة سواء كانت مؤسسة عمومية مكتبة مدرسة متحف زاوية/ أو نسخة خاصة؛ وهذا يفيد في توثيق النسخة والثقة بها وإمكانية الرجوع إليها للتأكد والضبط؛

---

[٥] مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، السيد رزق الطويل، ص٢٠٣؛ ولمعرفة تطور صناعة الورق انظر: تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، ص١٤.

فأما أن تكون مجهولة المكان أو مبهمة كأن تقول مثلا في الجزائر أو في المغرب في مصر دون تعيين الجهة بدقة فهذا مما يفقد الثقة بها؛ وكلما كانت النسخة ملكا لجهة علمية معتبرة كلما قويت بها الثقة.

وقد لا يكتفي الطالب هنا بتسجيل مكان وجود النسخة، بل عليه أن يحاول تسجيل رحلتها التاريخية فيما تتيحه له المصادر فمثلا وجود كتاب مشرقي في زاوية مغربية أو العكس أو في دول الغرب كإسبانيا لابد أن يكون له ما يفسره[٦].

الثاني الوصف التاريخيّ للنسخ الخطية:

ويتضمن عدة أمور: تاريخ التأليف / تاريخ النسخ / الناسخ/ السماع / المقابلة / خطوط أهل العلم/ التمليك/ الختم.

وهي أمور كلها تساعد في التوثق من النسخة المخطوطة فإذا اجتمعت ازدادت قوة إلى قوة.

١ – **تاريخ النسخ**: يعرف من تصريح المؤلف في النسخة المخطوطة إما في أولها أو في آخرها، وقد يصرح به في كتاب آخر، أو يصرح به أحد تلامذته أو المترجمين للمؤلف.

فإن لم يوجد تصريح بذلك فعلى الباحث أن يجتهد في استنباط التاريخ أو التقريب لذلك.

وقد يعرف ذلك من تاريخ نسخها فمثلا وجدت أن من نسخ كتاب غيث النفع للصفاقسي نسخة مؤرخة بتاريخ ١٠٧٥ فعلم بهذا أنه ألّفه قبل هذا التاريخ؛ وقد ذكر فيه شيخه مُحَمَّد الإفراني ولم يصحبه بكلمة تدل على وفاته كأن يقول:" رحمه الله" مما يدل على أنه ألفه قبل وفاته.

٢ – **الناسخ**: وهذا أمر مهمّ فإن الناسخ كلما كان معروفا بالعلم وموثوقا وأقرب للمؤلف عصرا كلما ازدادت الثقة بالنسخة، والأمر نفسه بالنسبة لفضل الناسخ العالم على غيره وللمعروف على المجهول، ومن أمثلته: نسخة الروضة والحديقة في علوم الحديث لابن مرزوق بخط ابن فايد القسنطيني تلميذه[٧]؛ ومنها نسخة المهذب للسيوطي بخط تلميذه مُحَمَّد بن أركماس الحنفي.

وكلما كان الناسخ أعلم بذلك الفن كلما كان أقرب، فإذا جاءتنا نسخة في علم الرجال بخطّ الذهبي أو ابن حجر أو السخاوي أو جاءتنا نسخة في القراءات بخط ابن الجزري ونحوه كانت الثقة بها أكبر من غيرها.

كما أن الناسخ يمكن أن يكون لخطه شهرة في عصرنا، فيستعين الباحث في ذلك بالمقارنة بخطه المعروف مع هذه النسخة، ليتأكد أو يزيّف الأمر، كما يمكن أن يساعده في قراءة بعض الكلمات.

---

٦ الروضة في علوم الحديث، ابن مرزوق التلمساني، ص١٠٣.

٧ انظر مثالا لذلك في: أضواء على مصحف عثمان بن عفان ورحلته شرقا وغربا سحر السيد عبد العزيز سالم، ص٢٢ وما بعدها.

وقد يكون الناسخ ممن قرأ هذا النصّ سماعا متصلا فتعلو الثقة بالنسخة.

وفي كل هذا على الطالب أن يعرف أكبر قدر ممكن من المعلومات حول الناسخ ليستدلّ بها على توثيق النسخة.

٣ – السماعات والإجازات وخطوط العلماء على النسخة[٨]:

وهو أيضا أمر مهمّ يؤكّد الثقة بالنسخة فعلى الطالب قراءة تلك السماعات التي قد توجد في أوّل النسخة أو في آخرها، وقد تكون على حواشي الكتاب أو نهايات أجزاء الكتاب إن كان له أكثر من جزء؛ وهذه الإجازات تعد صورة من الصور التي عرفها العلماء قديما عن الشهادات العلمية[٩] ويكون هذا الفرع في النقاط التالية:

- ✓ أسماء أصحاب السماعات والبحث عن تراجمهم
- ✓ تسجيل إقرار المؤلف أو المجيز للكتاب بذلك السماع
- ✓ تسجيل إسناد النسخة المسجل مع السماع
- ✓ تسجيل تواريخ السماع وأماكنه إن عددت

ثم يحاول بالمقارنة والتحليل توثيق أو تزييف النسخة فيقارن بين تراجم وفيات ومواليد السامعين مع تواريخ السماع وتاريخ تأليف الكتاب وتاريخ نسخه

يقارن بين تواريخ السماع وتسلسلها الزمني.

ويعمل عقله في تحكيمه في النقل جوازا واستحالة فإنه يستحيل مثلا أن يكون تاريخ السماع قبل تاريخ التأليف أو قبل ميلاد السامعين أو بعده بدهر ونحو هذا من القرائن.

وهذه السماعات لها فوائد كثيرة منها[١٠]:

- ✓ دليل على صحة الكتاب
- ✓ فيها تحديد تاريخ المخطوط
- ✓ تحديد قيمته العلمية وأنه كان محط دراسة وقراءة
- ✓ تصور الحركة العلمية

---

[٨] وللدكتور صلاح الدين المنجد، بحث خاصٌّ في هذا سماه "إجازات السماع"، منشور في مجلة معهد المخطوطات ١/ج٢، عام ١٣٧٥هـ؛ وقد أورد الدكتور أيمن فؤاد السيد نماذج كثيرة للسماعات في: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، ص ٤٨٥ وما بعدها .

[٩] انظر: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، أيمن فؤاد السيد ص ٤٧٣.

١٠ انظر: علم الاكتناه العربي الإسلامي، قاسم السامرائي، ص١٦١.

✓ تفيد في تفصيل تراجم أهل العلم وتتبع رحلاتهم ودراستهم

٤ – **المقابلة**: والمقصود بها أن يبين الباحث هل أعاد الناسخ عرض الكتاب على النسخة المنقول منها، فيأمن بذلك من الوهم والسقط؛ وقد تذكر المقابلة في بداية الكتاب أو في آخره، وقد تجد الإشارة إليها في أماكن شتى من المخطوط؛ والمقابلة ينظر إليها من جهتين: من جهة النسخة المقابل عليها؛ ومن جهة الذي تولى المقابلة وكلاهما يقوي أو يضعف الثقة بالمخطوط.

وهناك أمور ينبغي معرفتها في اصطلاح أهل العلم في المقابلة: الدائرة، والدائرة المنقوطة، وكلمات: بلغ، عورض، قوبل، صح، صحح، ونحوها من الاصطلاحات وقد سبق بيانها.

٥ – **الحواشي**: والمقصود بها هنا ما كتب حول النص، وليس من صلب متنه[١١]؛ وهي تشمل أنواع كثيرة: شرح غريب/ استشكال / اعتراض / ارجاع المعلومة لمصدرها/ وقد تكون معلومة طائشة أراد كاتبها تقييدها في الكتاب.

وأهمية هذه الأمور الدلالة على مرور أهل العلم على هذه النسخة وقراءتها؛ وقد يستفيد منها الباحث في قراءة أو تخريج أو شرح؛ وليحذر هنا من خطأين محتملين كثيرا ما يقع فيهما الباحث:

أ- إدراج شيء من الحواشي في صلب الكتاب نظير ذلك ما وقع في النسخة المخطوطة لكتاب أحكام القرآن للباغائي الجزائري من إدراج كلام كثير في هذه النسخة من كتاب أحكام القرآن لابن العربي.

ب- إخراج شيء من الكتاب وهو منه.

وكلاهما يعتمد على النظرة الثاقبة وعدم التسرّع نفيا أو إثباتا.

ت- ومما يحذر منه أيضا إهمالها البتة تسجيلا في الدراسة وإعمالا في النقد للنسخة ونحو ذلك.

الفرع الثالث: ترتيب النسخ ورموزها[١٢]:

وبناء على ضوء تلك المعطيات يستطيع الباحث ترتيب النسخ من حيث الأهمية ترتيبا تنازليا بأن يجعل إحداها أصلا يعتمد عليه في إثبات النص المحقق، والأخرى فروعا ثم قد يرجّح الفرع على الأصل لدليل خاصٍّ ويجعل لكل نسخة رمزا بعضهم يقتصر على الحروف: أ ب ج.

---

١١ مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، السيد رزق الطويل، ص ٢١٢.

١٢ مقدمة في أصول البحث العلمي وتحقيق التراث، السيد رزق الطويل، ص ٢٠٨.

وعلى الباحث أن يشير إلى المعلومات عن هذه النسخ من أماكن وجودها وتاريخ نسخها ونساخها وعدد أوراقها (المعلومات البيبليوغرافية) حتى يمهد الطريق لمن أراد المزيد من البحث، وحتى تكون له الحجة في عدم اختيارها أصولا للتحقيق في بحثه، فلا يتهم بالتقصير.

- إن كان الكتاب إعادة تحقيق:

في هذه الحالة يحتاج الباحث إلى نقد الأعمال السابقة بالأدلة العلميّة المعتبرة، وبيان دواعي عمله وما تميز به عن سابقيه، ولا يكفي في التوجه لإعادة التحقيق وقوع الباحث السابق في أخطاء لا يكاد يسلم منها أحد، والسبيل الأمثل في تصحيحها حينئذ أن تنشر في مقال علمي أو نحو ذلك دون تكلف إعادة العمل من أجل تصحيح بضعة عشر خطأ في كتاب تجاوز الألف صفحة!!!.

– رابعا: منهج التحقيق

وفيه يذكر الباحث: مصطلحاته، ومنهجه في التعامل مع اختلاف النسخ والأخطاء والأوهام الواردة فيها، ومنهجه في العزو والتخريج والتعليق وتراجم الأعلام ونحو ذلك.

- خامسا: نماذج صور للنسخ المخطوطة المعتمدة

ويركز على ما يلي: صفحة العنوان بداية الكتاب ونهايته.

ويمكن أن يدرج ما يراه مناسبا لإشراك القارئ في النقد معه، خاصة مما له علاقة بالقضايا التي أثارها في وصف النسخ ونقدها كأن يزيد مثلا صورا لـ:

- ✓ السماعات مثل ما فعل الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للرسالة[١٣].
- ✓ التصحيحات
- ✓ الحواشي
- ✓ أسماء النساخ
- ✓ نماذج عن بعض الظواهر الكتابية الغريبة معينة.

ويجدر التنبيه هنا على أن هذه الخطوات في قسم الدراسة لا يشترط أن تكون في ترتيب عمل الباحث على هذا النحو؛ بل قد يسبق بعضها بعضا وقد يستغني عن بعضها لسبب ما، ولكن الغالب أنها لا تنجز إلا بعد أن يستوفي الباحث قراءة النسخ المخطوطة كاملة وكتابتها[١٤].

---

١٣ الرسالة، الشافعي، مقدمة تحقيق أحمد شاكر، ص٣٠.

١٤ انظر: الدراسة بين يدي تحقيق المخطوط أهميتها ومقوماته، أحمد بن فارس السلوم، ص٩.

وبهذه الخطوات المنهجية يكون الباحث قد انتهى من قسم الدراسة؛ فإن اجتهد واستفرغ جهده وأحسن في بيان فروعه واحتوائها ودراستها صار هذا القسم مدخلا علميًّا مميّزا للكتاب المحقَّق؛ بل قد تكون بإتقانها من أسباب انتشار الكتاب وعلوّ قيمته لدى الباحثين وطلبة العلم.

خامسا: خاتمة الدراسة

ويذكر فيها البحث أهم النتائج والتوصيات التي خرج بها من بحثه.